المقيت

الاسم هو المُقيت .

ورد ذكره في الحديث الشريف الذي عدّد الأسماء الحسنى . والقوت مايُمسك الرَّمق من الرزق ، وما يُقيت الإنسان ، وما يقيم أَوَده ، وما يجعله يقف على قدمَيه ، وما يُعينه على مُزاولة نشاطه ، هذا هو القوت ، فالخبز من القوت ، والحليب من القوت لكن بعض أنواع الفاكِهة ليس من القوت هناك طعام أساسي وهناك طعام ثانوي فالطعام الأساسي هو القوت ، والله سبحانه وتعالى من أسمائه المُقيت .

بعضهم قال : القوت هو ما يُقَوِّم بَدَن الإنسان من الطعام ، ويجعله قائماً . قال ابن عباس رضي الله عنه : المقيت هو المُقْتَدِر ؛ كيف ؟ لأن هذا الإنسان يحتاج إلى طعام ، والذي خَلَقه خلق له الطعام ، وخلق له توافُقاً بين الطعام وبين جِسمه ، وخلق أجهزةً في جسمه تأخذ هذا الطعام وتَمْتَصّه ، وتستفيد منه . هناك عملية خلق ، وعملية توافق ، وعملية استِقبال . لِذلك المقيت هو المقتدر عِلماً وقوة ، فهذا الحليب الذي تُنتِجه البقرة آلِيَّه مُعقدة جداً ، خلِيّة الغُدّة الثديِيَّة يَمُرُّ فوقها أوعية شعرية فيها دم ـ وكأنها كائن عاقل ـ تختار من

بين فَرْثٍ ودمٍ ؛ من بين الكريات الحمراء ومن بين البولة السائلة التي في الدم ، العناصر الأساسية من بروتينات ، وموادَّ دسِمة ومواد شَحمِيّة ، ومواد مُقَوّية ، ومعادن ، لِيَكُونَ الحليب منها . فالذي جعل هذه الكائنات قادرة على إنتاج هذا الحليب ، ثم جعل هذا الحليب متوافقاً مع جِسم الإنسان ، ثم أوجد أجهزة في جسم الإنسان تستقبل هذا الحليب ، وتهضمه ، وتمتصه ، وتجعله طاقةً هو الله المقيت .

فالمقيت هو المقتَدر إذْ إنه خلق ووَفَّق ، وأفاد ، خلق الطعام ، ووفّق بينه وبين خصائص الجِسم ، وهَيَّأ له أجهزة تمتصه لِتستفيد منه . فابن عباس يقول : المقيت هو المُقتَدِر .

أبو عُبيدة يقول : المُقيت هو الحفيظ ، ما الذي يحفظ لك هذا الجسم ؟ الطعام والشراب ، فَلو انعدم الطعام لأَدّى ذلك إلى المَوت . فَمِن أسماء الله المقيت ؛ وهو الذي يخلق القوت ، ويحفظ الإنسان بِالقوت ، وهو الذي يقتَدر بِعِلمه وقُدرته على خلق القوت المُناسب ، وملاءمته مع الجِسم ، وتهيئَة أجهزة الجسم لامتصاصه . فَصار المقيت : الحفيظ . والمقيت : المقتدر عِلماً وقُدرةً . والمقيت : هو الذي يخلق القوت .

وقيل : المقيت هو الذي يعطي أقوات الخلائق . فَلَو تفكَّر الإنسان وسأل نفسه : كم من دابة تُذبح يومِياً لِتوفير طعام البشرية ؟ فلو قدّرنا نصيب الإنسان بخمسين غراماً من اللحم عِلماً أن عدد سكان العالم خمسة مليارات نسمة فَكم يكون التقدير ؟ ومن المحاصيل الزراعية كم طناً ؟ بلادنا المتواضعة التي عدد سكانها عشرون مليوناً أنتجت ثلاثة ملايين طناً . فماذا نقول عن بِلاد مثل الصين التي عدد

سكانها مليار ومئتا مليون ؟ وماذا نقول عن بِلاد مثل الهند التي عدد سكانها مليار وخمس وأربعون مليوناً ؟ وكم تُنتِج من قمحٍ ولحم وخضراوات وفواكه ؟ من خلق ومن أبدع وهيّأ ؟

هذا هو معنى المقيت .

وقيل : المقيت : هو الذي يعطي أقوات الخلائق . وقيل : المقيت : هو الذي خلق الخلق وساق لهم الأقوات . لو أن أحداً أعطاك سيارة ومنعك من شراء البنزين لم تستفد أنت شيئاً! إذ إنه من لوازم إعطاء هذه المركبة إعطاء قسائم للوقود من أجل أن تسير بها ، فالتعريف دقيق ؛ هو الذي خلق الخلق ، وساق لهم الأقوات . فما دام قد خلق ، فقد رزق . والشيء الدقيق في المعنى والمدلول قوله تعالى :

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الروم : ٤٠] .

لم يقُل ثم يرزقكم بل قال : ثمّ رزقكم بِالفعل الماضي طمأنة للخلق . فلو أنك أرسلت إنساناً إلى بلد أجنبي ، وأمَّنت له ما يحتاج إليه لِمدة خمس سنوات دُفْعةً واحدة سَلَفاً حتى يطمئن ؛ فجاء الفعل ماضِياً ؛ الله الذي خلقكم ثم رزقكم . فالمقيت هو الذي خلق الخلق ، وساق لهم الأقوات . وهذه الغَنَمة التي خُلِقت خِصِّيصى لنا وكل شيء فيها ننتفع به ؛ بدْءاً من صوفها ، إلى جِلدِها ، إلى لحمها ، إلى شحمها ، إلى دُهنِها ، إلى عظمها ، إلى أحشائها ، إلى قرنيها ، إلى رأسها ؛ فكل شيء في هذه الدابة ينتفع الإنسان منه ، وهي مُخلوقة للإنسان خِصِّيصى ، ومُخلوقة كي تتوالد بِسرعة كبيرة ،

وتحوي أجهزة كأجهزة الإنسان تماماً ، من أجل أن يُعَلّمه الله ماذا في أحشائه لتكون وسيلة للتعرّف إلى جسم الإنسان من خلالها .

فقيل : المقيت هو الذي خلق الخلق وساق إليهم الأقوات ؛ إنّه الله عزّ وجل رب العالمين ، وأوْصَل إليهم الضروريات ، والكماليات ، ورزق قوت الأشباح ، وقوت الأرواح ـ وها نحن قد دخلنا في معنى أوسع ـ المقيت : ساق قوت الأشباح ، وقوت الأرواح . والأشباح جمع شبحٍ وهو الجسم لأنه فانٍ والأرواح : المقصود بها النفوس . كما أنه يوجد أقوات للأجساد ؛ هناك أقوات للنفوس ، والنفس قوتُها بالاتصال بالله عزّ وجل ، قوتُها بالسكينة التي يُنزِلها الله على قلوب المؤمنين ، وشعورها بأن الله راضٍ عنها ، وبِمعرفتها بربها وبِالعمل الصالح الذي تتألق به ؛ هذا هو قوت النفس . فكلمة قوت ، وكلِمة مُقيت دفعَت بنا إلى قَفْزة من قوت الأشباح إلى قوت الأرواح ؛ من قوت الأجساد إلى قوت النفوس ، ومن الطعام والشراب إلى العِلم ، ومن الفواكِه إلى السكينة ، ومن الماء إلى التجلّي الإلهي الذي يهبط على القلب فَيَمْلؤه سعادةً . قالوا : المقيت هو الذي خلق الخلق ، وساق إليهم الأقوات ، وأوْصَل إليهم الضروريات والكماليات ، ورَزَقَ قوت الأرواح وقوت الأشباح . وقيل : المقيت هو المُتكفّل . أحياناً الإنسان يُطعِم ولكنه ليس مسؤولاً ، ولا مكلفاً ، ولا مُلزَماً ؛ لكن الله عز وجل قال :

﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [هود : ٦] .

و« على » تُفيد الإلزام الطوعي الذاتي والله عز وجل ألزم نفسه

برزق العباد ؛ ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ فهو المتكفّل بايصال الأقوات إلى الخلق .

وذكر الرازي : المقيت من شَهِد النجوى فأجاب ، وعلِم البَلْوى فَكَشف واستجاب .

فالمقيت هو الذي يخلق القوت ، والمقيت هو الذي يحفظ الإنسان من الجوع ، ومن الهلاك جوعاً ، والمقيت هو الذي خلق قوتاً يُناسب الجسد ، وخلق في الجسد أجهزةً تستقبل القوت ، وجعل توافُقاً عجيباً بين بنية الإنسان ومُكوِّنات الغِداء . يُقال أحياناً : هذا الحليب متوافق مع السِّن الفلانية ؛ فهو مدروس مع البروتينات والشحوم والفيتامينات ، فصار هناك اقتِدار أساسه العِلم والقُدرة . وصار هناك حفظ وإطعام ثم هناك قوت القلوب .

وقوت القلوب : أي معرفة علاّم الغيوب ، والاتصال بالله عز وجل . وقوت القلوب الأمن الذي يملأ الله به قلب عبده المؤمن ، والمؤمن ممتلىء قلبه أمْناً ، وممتلئة نفسه سكينةً ورِضاً واطمِئناناً ؛ هذا هو قوت القلوب معلوم أنه تمر على الإنسان فترات يذهب أين شاء ويأكل ما يشاء ويستمتِع بِطيبات الحياة الدنيا ، ومع كل هذا الاستِمتاع يشعر بِجوعٍ روحي ، يريد أن يتصل بالله ، وأن يرضى الله عنه ، فإشباع الجسد لا يُغْني الروح شيئاً ، فروحك ونفسك بِأمسّ الحاجة إلى قوتٍ خاصٍّ بها . فلو أن شخْصاً صلى صلاة مُتقنة بِخُشوعها وانهمرت دموعه في الصلاة ، أو قرأ القرآن فَشَعر بِسعادَةٍ كبرى ؛ فإنّه يشعر بِالرِيّ ، ويشعر بالاكتِفاء ، وأنَّ الله عز وجل قَبِله ، وأقبل عليه ، وتجلّى على قلبه ، وأنزل على قلبه السكينة ، وتطمئنّ

نفسه إلى أنّه حفظه وغَفَرَ له وقرّبه وهذا هو قوت القلوب .

وهذا مثلٌ آخر أقرب إلى الأفهام ؛ لو أنّ أباً في البيت ، وفَّرَ لابنه ألوان الطعام ، وألوان الألبسة ، لكنه لا ينظر إلى ابنه إطلاقاً ولا يُكلّمه فهل يكتفي هذا الابن بِالطعام الذي يأكله في البيت ، وبالشراب اللذيذ ، وباللباس الجيد ؟ لا يرضيه ذلك ولا يسعده لأنَّ الابن بِحاجة إلى ابتسامة من أبيه ، وإلى كلمة عطف ، وبِحاجة إلى أن يضع الأب يده على كَتِف ابنه ، وإلى أن يضُمّه ؛ فالضَّمّ ليس طعاماً ، كما أنّه بِحاجة إلى أن يُقَبّله أبوه ، والتقبيل ليس طعاماً .

ووضع يده على كتِفِه ليس طعاماً ، وكذلك على رأسه ، وأن يبتسِم في وجهه ليس طعاماً ، أليس الطِّفل الصغير بِحاجة ماسة إلى قوت من نوع آخر ، يُسمّيه المربون : أن يستَقِيَ الحنان من أمّه وأبيه ، وأن تضُمَّه أمه إلى صدرها ، وأن يضعه أبوه في حجره ، وأن يبتسم في وجهه ، وأن يُضاحكه ، وأن يُداعِبه ، وأن يُلاعِبه ، فهذه حاجة أساسية عند الإنسان . وكلما ارتقى الإنسان تصبح حاجته إلى هذا القوت المعنوي أشدّ من حاجته إلى القوت المادي . والإنسان عندما يقوى إيمانه لا يرى سعادةً أكبر من أن يشعر أن الله تعالى يُحِبُّه ، وأنه في عَين الله ورعايته وتوفيقِه ، إذًا ما أحْوجنا إلى قوت القلوب .

وحينما يفتقِر القلب إلى القوت يتصحّر لأنَّ الحياة منعدمة . أحياناً البكاء يجعل الإنسان يشعر بِسعادة ، وإن أرقى بكاء الإنسان أن يبكي بكاء الرحمة ، أُدخل إلى عالم الإيمان وإلى عالَم القُرب من الله فستشعر بظلال رحمة الله ورأفة جنانه . كنت أدعو في بعض الأدعية : اللهم أخرِجنا من وُحول الشهوات إلى جنات القُربات ، القُرب جنة ؛

العِفّة والاستِقامة والصدق والأمانة والضبط وأداء العِبادات وتِلاوة كتاب الله ، هذا قرب ، وهذه جنة ، أخرِجنا من وُحول الشهوات إلى جنات القُربات . فإذا أكل الإنسان أطيب طعام حتى امتلأ بطنه ، ونال من المباحات ما يشاء ، ثمّ لا يلبث أن يشعر بِالفراغ ويشعر بِالملل والسّأم ، لأنَّ هذه الدنيا صغيرة ولا تملأ قلب الإنسان ، ولا تملأ نفسه اللامتناهية ؛ فهذه لا يملؤها إلا القُرب من الله عز وجل . إذًا فالقوت قوتان ؛ قوت للقلوب ، وقوت للأجسام . فَقُوت الأجساد الطعام والشراب ، وقوت القلوب معرِفة الله والإقبال عليه والقُرب منه ، أما علمْت أنّ أكبر عِقاب يُعاقب به الإنسان يوم القِيامة قوله تعالى :

﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [المطففين : ١٥] .

هذا أبٌ على مودّة بالغة مع ابنه فلو قال له يوماً : أُخرج ولا ترِني وجهك! ألا ترى أنّ هذا القول هوأكبر عِقاب للذي يملك إحساساً والذي يعرف نفسه أنّه عزيز حبيب .

وفي بعض المعاجم المقيت هو الحفيظ . والحفيظ على وزن فعيل صيغة مبالغة ، يعني حافظ وحفيظ شديد الحفظ ، والمُقتَدِر عِلماً وقُدرةً ، والقدير والمُقَدِّر . فالأغذية متوازنة بِدِقّة بالِغة ، ذكرت من قبل أنَّ الطفل الصغير إذا ماتت أمه قبل أن تُرْضِعه ، أو طُلِّقت ، أو خافت على رشاقتِها فلم تُرْضِعه وأسقَيْناه حليب البقر المعقم ، فهناك مُضاعفات خطيرة تحدث معه في المستقبل ، لأنَّ المادة البروتينية في حليب البقر أربعة أمثال ما تحْتَمله أجهزة الطفل الصغير لذلك يُصاب بِآفات قلبية ، وآفات وِعائية ، وآفات في الكبِد والكُليَتين ، وتُعزى

بعض الآفات القلبية والوِعائية والكبِدية والكَلَوية ؛ إلى أن الطفل حُرِم الرَّضاع من أمه ، هل تصدّق أيها القارىء الكريم أن حليب الأم يتبدل تركيبه في أثناء الرضعة الواحدة ؟ والآن كل معامل أغذية الرُّضع ، تكتب على عَبْواتها لا شيء يُعادل حليب الأم في الدرجة الأولى ، إذاً هناك تقدير وقدرة وعِلم وحِفظ .

وردت كلِمة المقيت في القرآن الكريم مرةً واحدة ، في سورة النِّساء قال تعالى :

﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴾ [النساء : ٨٥] .

أي حفيظاً ويحفظ أعمال عباده كلها . « **من يشفع شفاعةً حسنة** » فإن دَلَلْتَ إنساناً على الله ، أو دَلَلْتَه على أخ مؤمن ، أو عرَّفته إلى أخ صادق ، شفعْتَ شفاعةً حسنة أيْ : نتَجَ عنها خيرٌ عميم ، ﴿ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً ﴾ : دلَلْتَه على معصية أو مُخالفة أو على أُسلوب لا يُرضي الله في التعامل ، شفعْتَ له شفاعةً سيِّئة ، قال تعالى : ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ ﴾ له : اللام هُنا لام الملكية : « **ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كِفل منها** » ، سَيَدفع نصيبه من هذا الأذى الذي سبّبه بِشفاعتِه ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴾ أيْ أنَّ الله عز وجل يعلم كل شيء ، ويُسجّل كل شيء ،ويحفظ كل شيء ، ويحفظ لك شفاعتك الحسنة أو شفاعتك السيئة . أحياناً تجد شخصاً ينصح آخر أن يرسِل ابنه إلى بَلد أجنبي وابنه مُراهق وفي مقتَبل العمر وهناك فساد كبير ، فالذي يحصل للابن في تلك البلاد في صحيفة من نصح ، لذلك قال تعالى :

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾[الكهف : ٢٨] .

فأيّ نصيحة تُؤدي إلى المعصية ؛ فهذه هي الشفاعة السيئة فأية نصيحة تؤدي إلى منفعة ؛ فهي الشفاعة الحسنة ، قال تعالى :

﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾ [النساء : ٨٥] .

فإذا نصحت أحداً أن يحضر مجلِس علم فكل خير يتأتّى من هذا المجلِس في صحيفة الناصِح ، ونصحتَ آخر بتركيب أكبر قِياس من الصحون الفضائيّة حتى يحصل على مئتي محطة تِلْفزيونية ، فكل سقوطِه في الليالي الطويلة وراء هذه الأجهزة في صحيفة الناصح ، تجده يقول لك :

هذا الهوائي صغير حدّه سبعون محطة ، لكنّا نريد مئتين قال تعالى : ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾ ، حفيظ أي مقتدِرٌ وحافظٌ وشاهدٌ وشهيدٌ .

وردت مادة القوت في سورة فصّلت ؛ في لغتنا كلمة وهناك مادة لغوية للكلمة ، والمادة في اللغة مثلاً عين لام ميم مادة العِلم ، هناك عِلم يعلم اِعلم عالم معلوم معلم علامة تعليم ، فمادة عِلم تحوي اسم فاعل ، واسم مفعول ، واسم مكان ، واسم زمان ، واسم آلة ، واسم تفضيل وصيغة مشبهة باسم الفاعل ، وفعل الأمر ، وفعل المضارع ، وفعل ماضٍ مجرد ومزيد ؛ كل هذه الكلمات أعضاء أسرة لِجدٍّ واحد مادة عِلم ، فكلمة مقيت وردت مرةً واحدة في القرآن الكريم قال تعالى : ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾ .

أما مادة القوت فقد وردت مرة واحدة في سورة فصلت :

﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴾ [فصلت : ١٠] .

أربعة أيام أي أربعة فصول ؛ لولا مَيْلُ المِحوَر لما كان هناك فصول! لو أن الأرض مِحورها عمودي على مستوى دورانها لكانت الفصول ثابتة هنا صيف سرمدي لوجود شمس والأشعة هنا عمودية ، وهنا خريف وربيع سرمديان إلى الأبد ، أما ميل الأرض على محورها ، والشمس مستقرة عليها من جهة معيّنة ، هنا عمودية فهنا صيف ، وهناك مائلة شتاء ، فلما عكست الآية صارت هنا عمودية ، وهناك مائلة ، فَميْل المِحور جعل تقلّب الفصول ، وهذا هو قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴾ .

وبعض العلماء فرّقوا بين اسم المقيت ، واسم الرزاق قالوا : « المقيت : **هو خالق الأقوات ، وموصِلها إلى الأبدان وهي الأطعمة ، وإلى القلوب وهي المعرِفة ، قوت القلوب المعرفة وقوت الأبدان الأطعمة ؛ خلقها ووفَّقَها وأوصلها وانتفع الجِسم منها** » ، عملية معقّدة . أحياناً تكون أمامك علبة لحم لكنك لا تستطيع أن تفتَحها فأنت لم تستفِد شيئاً ، لكن الطعام الذي خلقه الله عزّ وجل يتوافق بِشكل عجيب مع حاجات الجسم ، وبِشكلٍ أشد عَجَباً مع طبيعة الأجهزة التي تستقْبِله .

قال العلماء : « **إن المقيت هو خالق الأقوات ، وموصِلها إلى الأبدان وهي الأطعمة ، وإلى القلوب وهي المعرفة** » ، إلاّ أنه أخص

من الرزاق إذ الرزق يتناول القوت وغير القوت قال تعالى :

﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ [الواقعة : ٨٢] .

ومن معاني المقيت ما يُكتفى به في قِوام البدن ؛ أكل لُقمتين فشبِع واستطاع أن يمشي ، فهو بهذا الطعام استطاع التحرك .

ومعنى مقيت ؛ أي مُستولٍ على الشيء القادر عليه . تقول : مُقيت على هذا البيت بِمعنى مُتَمَلِّك زِمامه ، أو مُطّلِع عليه وقادِر على فهم كل خباياه . فإما قدرة ، أو عِلم ، أو حِفظ ، أو إطعام .

وقال بعض العلماء : « **المقيت بِمَعنى الرزاق إلا أنه أخص منه** » ، فأنواع البهارات هذه ليست قوتاً ؛ ولكن تُحَسِّن الطعْم . وهناك قلوبات وهي كذلك ليست طعاماً ولكن تُحسن طعْمه . أنواع الفواكه كذلك فهناك أنواع لذيذة الطعم ؛ ولكنها ليست قوتاً ولكنها مبالغة في الإكرام . يمكن أن نسمي خالق هذه الأطعمة التي يمكن أن يستغني عنها الإنسان باسم الودود . ويمكن أن تنطوي الأطعمة الأساسية تحت اسم المقيت . يمكن أن يدعوك شخص إلى الطعام ، ويُعطيك نوعاً واحداً ، ويمكنه أن يضع لك أنواعاً من حلويات ، ومقبلات ، وأزهاراً على الطاولة ؛ هذا كله يزيد على حاجة الإنسان . فتفيأت على مائدته ظل المقيت وظلّ الودود . فهناك أطعمة تنطوي تحت اسم الودود وهناك أطعمة تنطوي تحت اسم المقيت .

وها قد وصلنا إلى موضوع أدب العبد مع اسم المقيت . ما علاقتنا بهذا الاسم الجليل ؟ قال : الأدب الأول ألا نأكل إلا الحلال الطيب ؛ فالله يُطعِمنا فلا ينبغي لك أن تأكل إلا الحلال الطيّب .

هناك قاعدة : لدينا شيء حرام لِذاته ، وهناك شيء حرام لِغيره ؛

فأَكْل الإنسان لحم الخِنزير ، هذا حرام لِذاته أي لِذات الخِنزير . وأن يأكل لحم الغَنَم دون أن يدفع الثمن هذا حرام ولكن ليس لِذاته وإنما لِغيره . فالحُرْمة الأولى حُرمة لِذات الشيء ، والحُرمة الثانية حُرمة لِغَير ذات الشيء وإنما لِطريقة تناوُلِه . وإن كان الطعام الذي خلقه الله قد خصَّنا به ، إلاّ أننا لابُدَّ أن نأكل منه إلا حلالاً بِكَسْبٍ صحيح مشروع .

فَمن أدب المؤمن مع اسم المقيت ألا يتناول إلاّ الحلال الطيّب ؛ لِيَرتَفِع عند الله ذِكره ، ويعظم أجره . هناك أثر يقول : أَطِب مطْعَمك تكن مُسْتَجاب الدعوة .

فالمال الذي بِحَوْزَتِك ينبغي أن يكون حلالاً . فإذا كان حلالاً . تشتري به طعاماً ، عند الله هو طيِّب . وإذا أكلت طعاماً طيِّباً حلالاً من كسب مشروع ، خالٍ من الكذب ، والغِش ، والتدليس ، والاحتِكار ، ليس فيه تغيير مُواصفات ، ولا إيهام ، ولا حلْف كاذب ، إذا كان الأصل حلالاً ـ مادةً وطريقةً ـ طيّباً ؛ عِنْدئذٍ قد طاب مطْعَمك وتَكُون مسْتَجاب الدعوة .

رُوي أن سفيان الثوري كان يتحرّى الحلال من الرزق ، حتى كان أولاده يُعانون من الفقر فجاءه رجل موسِر بِصُرّة مالٍ وقال له : إن هذا مالٌ حلال ورجاه أن يقبله منه فقبله سفيان ، وبعد قليل ردّ المال إلى صاحِبه فقال أحد أبناء سفيان لأبيه : يا أبتِ أليس لك أولاد بحاجة إلى هذا المال ؟ فقال له سفيان : أتُريد أن تأكل وتتنعّم وأبوك يُسْأل عنه يوم القِيامة ؟

أكاد أقول : إن تِسْعة أعشار الدين أن يكون الرزق حلالاً . فأيُّ

كسْبٍ للمال ؛ المادة التي نتعامل بها مشروعة ، والحديثُ فيه صِدق ، ووفاء بالوعد ، ودِقة للسعر ، ونصيحة للمشتري ، ولا تدليس ، ولا غِش ، ولا كذب ، ولااحتيال ، ولا مُبالغة ، ولا تغيير مواصفات ، وكل شيء مشروع هذا كله صيَّر المال الذي تكسبه مالاً حلالاً ، وينفعك نفعاً لا حدود له ، ويُبارِك الله لك فيه برَكَةً ما بعدها بَرَكة .

هناك أدب آخر ، ذكر بعض العلماء أن من أدب هذا الاسم أنّه إذا أتاك الغَداء أن تشاهد المُنعِم من خلال النِّعمة ؛ فكلنا نأكل لكن إذا جلس الإنسان لِيأكل ورأى كأس شاي : من خلق الشاي بِهذا الطعم الطيّب ؟ ومن خلق السكر ؟ ومن جعل الماء صافِياً ؟ ومن خلق النار نوقِدها لِتَحضير الشاي ؟ فهذا الخبز : من خَلَق القمح ؟ وهذا الجُبن ، وهذا اللبن ، وهذا الزيتون من خلقه ؟ ؛ شجرة مُباركة . أكلتَ أرزاً من خلق هذا المحصول ؟ أكلتَ فاكهةً ، فمن الذي أنعم بها ؟ والمؤمن دائماً لا يرى حين جلوسه إلى المائدة إلا نِعمة الله ؛ وهذا شعور راقٍ جداً ، ولذلك يبدأ الإنسان بِالبَسملة ، ويحمد الله على هذا الطعام الذي خلقه الله له وزوَّده به ، فإذا انتهى توسّل بحمد الله أن يديم النّعم عليه .

أحياناً : الإنسان ، المئة ألف ليرة لا تساوي عنده رغيفَ خبز ، فالإنسان أساس حياته الطعام والشراب ؛ فإذا حُرِمَهما وكان معه المال الوفير فهذا لا يساوي عنده ولا شيئاً . إذا كان الإنسان في الصحراء وكاد يموت جوعاً حانت منه التِفاتة فرأى بِركَة ماءٍ عن بُعدٍ فأشرق في نفسه نور الأمل ، فلما وصل إليها شرب حتى اِرتوى . ثم حانت منه اِلتِفاتة فإذا بِكيسٍ مملوء ، كاد يفقد عقله من شدة فَرَحه ، ظن أن فيه

خبزاً ، فلما فتحه لم يجد فيه إلاّ لآلئًا فصاح واأسفاه هذه لآلىء! إذْ إنه كان يتمنى الخبز . فاللؤلؤ بالمدينة له قيمة أما إذا كان بالصحراء وكاد يموت عطشاً ؟ ، فكأس الماء لا يعدِلُهُ شيء حتى إن الواعظَ ابن السمَّاك قال لهارون الرشيد : يا أمير المؤمنين بِكم تشتري هذا الكأس من الماء إذا مُنِع عنك ؟ قال : بِنصف ملكي قال : فإذا مُنِع عنك إخراجه ؟ قال : بِنِصف ملكي الآخر . فهناك نِعم تبدو بسيطة لا أحد يعرف قيمتها ؛ فهناك ماء تشربه ، وهذا الماء يخرج فضلات بِيُسرٍ بِلا انحِباس . وهناك طعام تأكله ، وهذا الطعام تتمثَّله ويخرج بِلا انحِباس ، فَتَلَقّي الطعام والشراب ، وخروج الطعام والشراب بيسر هذه نِعمة لا يعرِفها إلا من فقدها .

إذاً : من أدب هذا الاسم ؛ أنه إذا أُتِيَ لك بِغداء تشهد المقيت الواسع ، ومتى عَشِقَتْ روحُك المقيت فَنِيْتَ في أنواره ، واجتَهدْتَ في أذكاره ، فَتأكل الطعام ويتجلّى لك واسِع الإكرام .

النبي ﷺ علّمنا أن نأكل بِبُطء وأن نأكل ونذكر الله مع الأكل . لأنَّ الإنسان إذا ذكر الله وهو يأكل شكر نِعَمه العظيمة ، أحياناً يشتهي الغني أن يأكل طعاماً إذ يرى أفقر الناس هم الذين يأكلونه ، إذا أُصيب شخص بِالتهاب المفاصل مُنِع من أكل الحمص والفول ، وبعض أنواع اللحوم عِندئذٍ يرى صحن الحمص أثمن صحن في الطعام ، فَحِينما يُمنع ، يشتهيه . لذلك عندما يأكل الإنسان دون قيود فليشكر ؛ فهذه نِعمة لا يعرفها إلا من فقدها .

فالمؤمن إذا جلس ليأكل ينتقل من النعمة إلى المُنعِم ، ومن القوت إلى المقيت . ومن هذا الإكرام إلى المُكرِم .

من التخلّق بهذا الاسم الكريم ؛ ألا تطلب حوائجك إلا من الله تعالى ، لأنَّ خزائن الأرزاق بيَدِه . فعلى الإنسان أن يسأل ربه حاجته كلها فهناك أشخاص تهون عليهم نفوسهم ، ويبذلون ماء وجوههم لغير الله عزّ وجل لكنَّ المؤمن لا يسأل إلاّ الله عز وجل .

وفي الإسرائيليات أن موسى عليه الصلاة والسلام قال : يا رب! إنه ليعرض لي الحاجة من الدنيا فأستحي أن أسألك ، قال : سلني حتى ملح عجينك وعلف حمارك .

فأول أدب من اسم المقيت أن تتحرى الحلال الطيّب ، والأدب الثاني ؛ أن تنتقل من القوت إلى المقيت ، ومن النعمة إلى المُنعِم ، والأدب الثالث ؛ ألا تسأل حاجتك إلا الله تعالى .

بعض العلماء يذكرون أنواعاً من القوت ؛ منهم من جعل اللهُ قوتَه في المطعومات ؛ فهذا يعيش ليأكل . حياتُه كلها طعام وشراب . ومنهم من جعل اللهُ قوتَه في الطاعات وهمّه طاعة الله عز وجل . ومنهم من جعل اللهُ همّه وقوتَه في المكاشفات والمشاهدات . فهناك إنسان يأكل ، وآخر يُطيع ، وآخر يُقْبِل ، فالإقبال قوت ، والطاعة قوت ، والطعام قوت . وقد قال عليه الصلاة والسلام : « **أبيت يطعِمني ربي ويسقيني** » [متفق عليه] . لكنه طعام من نوع آخر . بِرَبِّكم هناك جلسات ـ وأنا أعرف ذلك ـ مباركة وطيِّبة وفيها تجلّ تنصرف منها وأنت منتَعِش ، وأنت في أعلى درجات السعادة فهذا قوت . قال عليه الصلاة والسلام : « **لا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إلا حَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ** » . [رواه مسلم] .

فهذه الجلسات التي فيها ذكر الله وفيها صفاء وإخلاص وتواضع هي من القوت الذي ذكره بعض العلماء .

قال بعض العلماء : « **القوت ذِكْر الحيّ الذي لا يموت** » ، وعلماء آخرون قالوا : « **إن الله جعل أقوات عِباده وخلقه مختلفة ؛ منهم من جعل قوته الأطعمة والأشربة على اختِلاف أنواعها ، وهم الآدميون وبعض الحيوانات . ومنهم من جعل قوته الطاعة والتسبيح وهم الملائكة . ومنهم من جعل قوته المعاني والمعارف وهؤلاء هم أولو الألباب ، وفي العقل نِظام يجمع المحاسن كلها** » .

بقي أن نعلم أنّ العبد إذا اشتغل بِطاعة الله عزّ وجل ، سَخَّر له من يعينه على تأمين حوائجه كلها . وأما من شُغِل بِشهواته ، أوْكَله الله إلى ذاته . فالإنسان المشغول بِذِكر الله عز وجل قوتُه موفور وحاجاته مُيَسّرة . وهم في مساجدهم والله في حوائجهم ، وأما الذي يشتغِل بِشهواته ، فإن الله يَكِله إلى ذاته ـ والإنسان ضعيف ـ وعندئذٍ يقع في حَيْرة وشُغلٍ وعناء ، يقول عليه الصلاة والسلام في بعض أدعيته :

« **اللهم اجعل رِزق آل محمد قوتاً** » وفي رواية : كفافاً .

[متفق عليه]

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ** » . [رواه أبو داود] .

فأكبر إثم ؛ أن تُضَيّع أولادك ، وأن تضَيِّع نفوسهم ، فلا تُعَرّفهم بِربهم وأن تُضَيِّع أجسادهم فَتُهْمِل إطعامهم وكِسْوتهم ومُعالَجتهم ، فالعِناية بِالأولاد من أجَلِّ العِبادات ؛ « **كفى بِالمرء إثماً أن يُضَيِّع من يقوت** » ، و« **اللهم اجعل رِزق آل محمدٍ كفافاً** » .

أيها القراء الكرام : كل يوم ثلاث وَجْبات وعندها تعرّف إلى المقيت ولا تشغلنّك القوّة عن المقيت ، وبكل مجلِس علم هناك مقيت ، أنت في البيت تأكل الطعام والشراب ؛ يجب أن ترى أن هذه مائدة الله عزّ وجل . والأكمل أن تُفَكّر في كل أنواع الطعام ، كيف خُلِقت ؟ وكيف نَمَت ؟ وكيف طُبِخت ؟ وكيف عولِجت ؟ فَيَجِب أن تعبّر النِّعمة عن المُنعِم ، والقوت عن المقيت .

وإذا دخلت المسجد ؛ فَهُناك قوت آخر . العِلم قوت القلوب والاتصال بالله قوت ، والعمل الصالح قوت . فالله عزّ وجل يُقيت الأشباح بِالطعام ، ويُقيت الأرواح بالعلم والمعرفة ونحن عالَةٌ على المقيت جلّ جلاله ، خَلقنا وخلق لِهذا الفَم ما يملؤه ، وخلق أنفسنا وخلق لِهذه الأنفسِ ما يُسْعِدها ، فَنحن بين لذّة الطعام ، ولذّة القُرب من الله عزّ وجل . وهذا الاسم المقيت يدور مع الإنسان مادام حياً . لذلك كان النبي ﷺ يعظُم النِّعمة وإن دقَّت ، وكلما عرفت اسم المقيت تحترِم هذه النِّعمة التي بين يديك ، وروي أنه رأى كسرة ملقاة فأخذها فمسحها ثم أكلها ثم قال : يا عائشة أكرمي كريمك فإنها ما نفرت عن قوم فعادت إليهم ، وقال تعالى :

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم : ٧] .

وقال تعالى :

﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ [إبراهيم : ٣٤] .

فإن الخلق عاجزون عن إحصائها ؛ فَلأن تكونوا عاجِزين عن شكرِها من باب أولى لأن الإحصاء سهل ، فَلَو جاءتك مئة هدِية في

مناسبة وِلادة ، جلوسك ربع ساعة يكفيك لِكتابة كل ما جاءك من هدايا ، أما أن ترد كل هدية بِثَمنٍ يُقابِلها ؛ فهذه تحتاج إلى جهدٍ كبير . فالله عزّ وجل أشار إلى أننا عاجِزون عن إحصاء النِّعم ، بل إننا عاجِزون عن إحصاء نِعمةٍ واحدة ، فلأَن نكون عاجِزين عن شكرِها من باب أولى .

* * *